قراءة في: اتجاهات الخطاب العام في الساحة الفلسطينية

عبد المهدي مطاوع

نشر معهد بحوث الأمن القومي الإسرائيلي(INSS) التابع لجامعة تل أبيب المعروف بدراساته **و أبحاثه** الميدانية التطبيقية المتعلقة بمجالات الأمن القومي والشؤون الاستراتيجية والصراع وكل ما له علاقة **بأمن إسرائيل القومي**، ملخصا لدراسة مهمة، تبدو أنها واسعة وحقيقية، أجرتها ‹اوريت بيرلوف› الباحثة بالمعهد والمستشارة السابقة بوزارة الخارجية الإسرائيلية، بعنوان ‹اتجاهات الخطاب العام في الساحة الفلسطينية›

وتتجلى أهمية هذه الدراسة، أو بالأحرى هذه المكاشفة، في أنها أوضحت حجم التأييد الذي تحظى به حماس في قطاع غزة، بعد عملية طوفان الأقصى، وكيف غيرت الوعي الجمعي الفلسطيني تجاه كثير من القضايا المهمة. ناهيك عن أن هذه الدراسة تعد واحدة من الدراسات القليلة التي تكشفت أبعاد التضليل بخطاب حركة حماس المفعم بمزاعم النصر والتأكيد على انتصار فكرة الجهاد وإذلال إسرائيل ودحر فكرة التطبيع بين إسرائيل والسعودية وبقاء الحركة عسكريا ومدنيا في قطاع غزة. وكيف أن هذا الخطاب بمفرداته الواهمة، يقدم خدمة للإعلام الإسرائيلي وكل من ينقل عنه من مترجمين وقنوات عربية وأجنبية؛ في تحقيق هدف إسرائيل الأسمى وهو إظهار غالبية الشعب الفلسطيني في غزة والضفة مؤيدة لحماس، بما يعني أنها لا تريد السلام. وذلك في منافاة لحقيقية الرأي العام الفلسطيني الأشمل والأكثر تنوعا والأقسى انتقادا لحماس والأشد غضبا منها وسخطا عليها.

وتتبنى ‹اوريت بيرلوف› رأيا واقعيا ورؤية مختلفة عما تقدمه وسائل الإعلام الإسرائيلية الأخرى من دعاية لحماس، كما تؤكد أن الخطاب المعبر عن الحقيقة بكل صورها وأشكالها، هو المنتشر بتلقائية على وسائل التواصل الاجتماعي الفلسطينية، سواء في قطاع غزة أو بالضفة الغربية، لكونه خطابا يحمل في مجمله رؤى مختلفة وآراء أكثر تنوعا. ويتضمن انتقادات لاذعة لحماس، ويعبر بحق عن المخاوف من تكرار الحرب المدمرة في القطاع والضفة. وأن هذا خطاب يحمل مؤشرات حقيقية بشأن تزايد الرغبة الشعبية الفلسطينية في استعادة السلطة السيطرة على قطاع غزة مرة أخرة.

وقد قسمت اوريت بيرلوف، هذه الدراسة إلى خمسة محاور تقيس من خلالها اتجاهات الخطاب العام في الساحة الفلسطينية:

١) **الوعي**: فقد تغير الوعي الجمعي الفلسطيني كثيرا، وذلك على العكس من رواية حماس حول عملية طوفان الأقصى التي انطلقت يوم السابع من أكتوبر، من أن الغالبية ابتهجت بالهزيمة التي ألحقتها حماس بإسرائيل، وأصبح الفلسطينيون فخورين بها. ولكن بعد أكثر من خمسمائة يوم من الحرب المكثفة، سجلت المؤشرات تغييرا كبيرا في هذا اتجاهات الرأي العام الفلسطيني، لدرجة أنه سوف يكون من الصعب أن تجد في قطاع غزة من يفسر طوفان الأقصى على أنها انتصار كما زعمت حماس. بل إن الجمهور في غزة يُحمّل حماس المسؤولية عن الكارثة التي حدثت بالقطاع، ويؤكد أيضا أن حماس تسبب بأكبر كارثة في التاريخ الفلسطيني. ويضمن حديثه في هذا الشأن كثيرا من الشتائم؛ من فرط غضبه تجاه يوم السابع من أكتوبر، منها مصطلح (السابع من كندرتي) المنتشر بين جماهير غزة.

٢) **الوعي والردع**: إذ كان للصور التي نشرتها قناة الجزيرة تأثير كبير في الوعي العربي والفلسطيني، وهذا ما رأيناه في الضفة الغربية فقد فرت الغالبية العظمى من سكان مخيم جنين وحتى طولكرم من منازلهم؛ خوفا من أن يدفنوا تحت الأنقاض. كما ضعفت قيمة الصمود بشكل كبير وتزايد الضغط الشعبي على المسلحين لوقف القتال. وأصبح الخطاب السائد في قطاع غزة ‹**نحن لسنا دروعا بشرية**›، أن دماء ‹السنوار› أو ‹الضيف› ليست أهم من دماء أي مواطن في غزة. ومن ثم تعرضت حماس وقيادتها بقطاع غزة لانتقادات شديدة بسبب اختبائها داخل المناطق الآهلة بالسكان؛ مما تسبب في عمليات قتل واسعة للمدنيين.

كما تزايدت الرغبة في العودة إلى فترة ما قبل انقلاب حماس على السلطة الوطنية الفلسطينية، عام ٢٠٠٧م، وهذا ما عكسه الخطاب الفلسطيني الواسع على وسائل التواصل الاجتماعي، الذي أعرب فيه الكثير من سكان غزة عن رغبتهم في عودة السلطة الفلسطينية مرة أخرى؛ لرغبتهم القوية في العودة إلى حياة أكثر عقلانية من دون خوف أو تسول للحصول على ماء وغذاء.

٣) **الاسرى:** أن قيمة إطلاق سراح الاسرى ودفع ثمن باهظ لإطلاقهم قد تراجعت؛ إذ عبر الراي العام في قطاع غزة عن أن سكانه ليسوا على استعداد لدفع الثمن لإطلاق سراح الاسرى. بل ويشير الكثيرين منهم بسخرية إلى أنه إذا كان لدى إسرائيل نحو خمسمائة أسير، فقد أصبح لديهم بعد الحرب أضعاف هذا العدد. ناهيك عن أن ثمة غضب حقيقي متفاقم بين سكان غزة من الاستعراضات العسكرية التي أجرتها حماس ضمن احتفالات إطلاق الاسرى لرفع معنويات سكان القطاع؛ الذي كان له رأي آخر مفاده أنه بعد الحرب كان يجب أن تركز حماس على توفير الغذاء والإيواء واحتياجاتهم اليومية بدلا من هذه المظاهر الفارغة.

٤) **النكبة والعودة:** ‹أردنا العودة إلى حيفا وعكا والآن نطلب بالعودة الى بيت حانون وجباليا› هذ العبارة الأكثر تداولا في الخطاب الغزاوي العام، والذي يشير فيه سكان غزة إلى خسارة الأرض، والنزوح عنها إلى أخرى؛ باعتبارها الدليل الأوضح على هزيمة حماس (ملحوظة: المعبر تحت سيطرة الاوربيين، ونيتساريم تحت سيطرة المخابرات المصرية، والغذاء يُقدم من قبل الأمريكيين).

٥) **العالم العربي:** ‹العرب لا يريدوننا› هناك فهم عميق أن زعماء الدول العربية يفضلون القضاء على حماس، ما عدا مصر، حتى الان لا توجد دولة عربية تستقبل الأسرى المحررين حتى الأكثر تأييدا لحماس.

وأخيرا، ترصد اوريت بيرلوف› في دراستها: اتجاهات الخطاب العام في الساحة الفلسطينية، اتجاها مماثلا وأكثر دراماتيكية في الضفة الغربية، والتي تشهد تراجعا حادا في التأييد لحركة حماس بشكل خاص، وفصائل المقاومة بشكل عام. ويشير الخطاب العام إلى مدى القلق بين الفلسطينيين من تكرار سيناريوهات غزة (الحصار، المجاعة، النزوح، الدمار الواسع النطاق داخل مخيمات اللاجئين وخارجها) ولعل هذا ما يفسر لنا غياب مظاهر المساندة، أو التأييد لحملات حماس والفصائل الأخرى على وسائل التواصل الاجتماعي. فضلا عن غياب النشاط الاحتجاجي ضد السلطة (على النقيض من بداية الحرب)

وتخلص هذه الدراسة إلى أن ثمة شعور واضح بالاستسلام في الخطاب العام الفلسطيني، وأنه لن يتحقق في أرض الواقع إلى من خلال ثلاث خيارات مرتبطة بعضها البعض تتمثل في: طرد قيادة حماس كلية من غزة، ونزع السلاح، ووقوع نكبة أخرى (بنجاح التهجير حتى لو كان طوعيا) وبناء عليه يمكن القول إن الحرب لم تنته بعد، وأن مستقبل غزة لا يزال ضبابيا؛ لذا فمن المحتمل أن يطرأ تغيير على الخطاب الفلسطيني العام.